العدد 4 No 4
تموز 2026 July 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

الأنساق الثقافية في تراث الإمام السجاد (عليه السلام): مقاربة سيميائية في البنية الأيديولوجية والروحية

م.د طارق جميل صكبان
المديرية العامة لتربية كربلاء

الملخص

يسعى هذا البحث إلى دراسة تراث الإمام السجاد (عليه السلام) من خلال مقاربة سيميائية ثقافية تهدف إلى الكشف عن الأبعاد الدلالية والأنساق الفكرية الكامنة في الخطاب السجادي. وينطلق البحث من فرضية أساسية مفادها أن النصوص المنسوبة إلى الإمام، ولا سيما الأدعية الواردة في الصحيفة السجادية ورسالة الحقوق، تمثل منظومة ثقافية متكاملة يمكن تحليلها بوصفها نظاماً من العلامات والرموز التي تنتج المعنى داخل السياق الثقافي الإسلامي.

الكلمات المفتاحية : السيميائيات، سيميائيات الثقافة، الإمام السجاد، الخطاب الديني، النسق الأيديولوجي، النسق الروحي.

Cultural Codes in the Heritage of Imam al-Sajjad (Peace Be Upon Him): A Semiotic Approach to the Ideological and Spiritual Structure

Dr. Tariq Jamil Sakban
Directorate General of Education, Karbala

Abstract

This study seeks to examine the heritage of Imam al-Sajjad (peace be upon him) through a cultural-semiotic approach aimed at uncovering the semantic dimensions and underlying intellectual structures embedded within the Sajjadi discourse. The research is based on the fundamental premise that the texts attributed to the Imam—particularly the supplications contained in Al-Sahifa al-Sajjadiyya and Risalat al-Huquq (The Treatise of Rights)—constitute an integrated cultural system that can be analyzed as a network of signs and symbols generating meaning within the broader context of Islamic culture

Keywords: semiotics; cultural semiotics; Imam al-Sajjad; religious discourse; ideological system; spiritual system

المقدمة:

قبل الولوج في بحثنا الموسوم بـسيميائيات الثقافة في تراث الإمام السجاد (عليه السلام)، لا بدّ لنا أن نجيب عن بعض التساؤلات التي يمكن أن تثار حوله، ومنها، لماذا اخترنا سيميائيات الثقافة بوصفها أداة إجرائية لهذا البحث؟ وما المقصود بالثقافة هنا؟ وما علاقتها بتراث الإمام السجاد (عليه السلام)؟ وإجابة هذه التساؤلات تكمن بطبيعة البحث الذي يرتبط ارتباطاً كلياً بشخصية الإمام السجاد (عليه السلام)، وتراثه الذي سنتناوله في هذا المقام بوصفه المادة الرئيسة للبحث. فما يتعلق بالشق الأول من السؤال؛ فكان اختياري لسيميائيات الثقافة بوصفها الأداة القادرة على تأويل الأنساق الثقافية المضمرة داخل

النصوص[1] الموروثة عن الإمام (عليه السلام)، وهذا ما يتطلب مني أن أجيب عن الشق الثاني من السؤال لأبين للقارئ الكريم ما المقصود بالثقافة هنا وفق وجهة النظر السيميائية؟ وماعلاقتها بتراث الإمام؟ لقد وصف علماء السيميائيات المختصون بسيميائيات الثقافة أمثال أمبرتو إيكو الثقافة أنها نسق أنساق العلامات [2]، أما تعريف الثقافة وفق جماعة موسكو تارتو – وهذه الجماعة هي من أسس علم سيميائيات الثقافة فهو **(الثقافة، مجموع أنظمة من العلامات، متنوعة ومتعددة، ومتدرجة ومتداخلة، ومن ثم لابد من دراسة هذه الأنظمة من زوايا مختلفة)**[3] فهي **(من وجهة نظر سيميائية، يمكن النظر في مفهوم الثقافة من حيث امتداده إلى مفهوم الكون الدلالي المرتبط بمجموعة سوسيوسيميائية معينة)**[4] ولابدّ للقارئ الكريم أن يعرف بأن السيميائية هي علم العلامات[5]، بكل ما تحويه هذه العلامة من دال ومدلول، ورسالة يراد إيصالها من خلال هذه العلامات[6]، وأما السيميائيات الثقافية فهي المسؤولة عن التحليل الثقافي لنصوص الثقافة، والكشف عن المستويات الخطابية لها، واستخراج أنساقها المضمرة. فيمكننا القول بأنّ الثقافة المقصودة هنا في هذا البحث: هي مجموعة أنساق من العلامات، أو أنساق سيميائية إن صح التعبير، متداخلة فيما بينها على هيئة هرم متدرج، وهذا الهرم هو الكون الثقافي، والذي سأتناوله في البحث، إذ يتوجب استخراج تلك الأنساق المضمرة، وهي عبارة عن علامات سيميائية شكلت بتعاضدها؛ ثقافة الإمام السجاد (عليه السلام)، وهذه الثقافة السجادية – إن صح التعبير – هي تداخل لأنساق شتى منها ما يكون تاريخي، واجتماعي، ومعرفي، ولغوي، وقيمي، ونفسي، الخ. وتمتاز هذه الأنساق ببعدها الدلالي وموضوعاتها التواصلية.

وهنالك شيء بالغ الأهمية لابدّ أن أوضحه؛ وهو طبيعة الاسس لسيميائيات الثقافة، وهذه الاسس اختصرها إيفانوف بأنها **(أنظمة نمذجة العالم، أي أنها تصنع عناصر العالم الخارج في شكل تصور ذهني هو نسق أو نموذج)**[7] وهنا استطاع البحث، أن يقدم الإمام السجاد (عليه السلام) بوصفه إنموذجاً للثقافة الشيعية المعاصرة من خلال وجهة النظر السيميائية، والدليل هو التعريف السيميائي للثقافة، والذي ذكره لوتمان وأوسنبسكي في مقالة بعنوان " الآلية السيميوطيقية للثقافة حيث قال: **(إن الثقافة هي ذاكرة غير موروثة للجماعة، والثقافة ظاهر اجتماعية، ولا تستبعد إمكان " وجود طابع فردي للثقافة، إذا رأى الفرد نفسه ممثلاً للجماعة أو اصبح هو نموذجاً للجماعة)**[8] وعلى هذا الأساس استطعت أن أثبت أن الإمام (عليه السلام) قد قدّم نفسه إنموذجاً للثقافة، وممثلاً للجماعة من خلال النصوص الواردة عنه (

---

[1]– ينظر:اللغة والأسطورة، إرنست كاسيرر،ترجمة: سعيد الغانمي،هيئة أبي ظبي للثقافة والتراث، كلمة، الطبعة الأولى، 2009، ص: 10.

[2]– ينظ:العلامة، تحليل المفهوم وتاريخه، أمبرتو إيكو، ترجمة:سعيد بنكراد، مراجعة:سعيدالغانمي، المركزالثقافي العربي،الطبعة الأولى، 200،ص: 177.

[3]– السيميائية، الأصول، القواعد، التاريخ، آن إينو، ميشال آريفيه، لوي بانيه، جان كلود كوكي، جان كلود جيرو، جوزيف كورتيس، ترجمة: رشيد بن مالك، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، 2008، ص44.

[4]– السيميائيات القاموس المعقلن في نظرية اللغة، أ.ج.كريماس،وج.كورتيس،ترجمة:رشيد بن مالك، كنوز المعرفة، ط:1، 2020، ص285.

[5]– ينظر: المصدر نفسه، ص625، 630.

[6]– ينظر: معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا)، دانيال تشاندلر، ت: أ.د. شاكر عبد الحميد، أكاديمية الفنون وحدة الاصدارات، 2002، ص33–34.

[7]– السيميائية، الأصول، القواعد، التاريخ، ص44.

[8]– المصدر نفسه، ص44.

عليه السلام) ليصبح إنموذجاً للذاكرة الشيعية بسبب المميزات التي امتاز بها والتي سنذكرها بعد قليل في هذه المقدمة.

ويأتي دور السيميائيات الثقافية لدراسة هذه الثقافة السجادية، من خلال البحث والتحليل للبنية الهرمية للغة الثقافية المراد دراستها، على أساس أنها تمتلك مستويات فرعية جعلت منها نسقاً لبنيات هرمية.

ومن هذا المنطلق، تتبعتُ تراثه (عليه السلام)، عن طريق النصوص الواردة إلينا، بوصفها لغة ثقافية حملت أبعاداً دلالية، وأنساقاً مضمرة عدّة كونت لنا ثقافة خاصة اطلقتُ عليها اسم الثقافة السجادية. وهذه الثقافة كانت لها مواصفاتها الخاصة عن بقية ثقافات الأئمة الأطهار (عليهم السلام) وفق المفهوم السيميائي، فقد امتازت؛ بكونها تمثل ثقافة وذاكرة الفكر الشيعي الإمامي الاثني عشري في زمن وتاريخ معين، بسبب الخصائص التي امتازت بها شخصية الإمام (عليه السلام)، وكذلك بسبب الظروف الموضوعية الخاصة التي أحاطته، وشكّلت نقطة تحوّل مهمة في تاريخ الشيعة.

مثلت الثقافة السجّادية نقطة الانطلاق للفكر الشيعي الاثني عشري في زمن المحنة، بكل ما احاطته من تحدّيات قاهرة، وأيام عصيبة، وهذا ما جعلها ظاهرة فريدة من نوعها شمخت على اعتاب التاريخ.

وهنا يأتي دورنا نحن الباحثين، بأن نتشرف بالبحث في فكر الإمام السجاد (عليه السلام) وتراثه، لكي نستخرج الرسائل[1] المشفرة[2] التي بثها[3] الإمام زين العابدين (عليه السلام) في زمن المحنة وراء ظلال المعاني[4] لكلماته المقدسة، وهذه الرسائل لا يمكن استخراجها إلّا من خلال المنهج السيميائي، وسيميائيات الثقافة.

فبسبب محدودية البحث، استطعنا أن نرصد بعضاً من الأنساق الثقافية المضمرة في تراثه، والتي هي عبارة عن رموز وعلامات تعاضدت فيما بينها لتشكّل ثقافة الفكر السجادي، فوجدنا أبرزها: النسق الأيديولوجي، والنسق الروحي، وعليه انقسم البحث على مبحثين سبقتهما مقدمة هي عبارة عن تعريف بسيميائيات الثقافة، ومفهوم الثقافة من خلال وجهة النظر السيميائية، وبعدها يأتي المبحث الأول بعنوان النسق الأيديولوجي، والمبحث الثاني وعنوانه النسق الروحي، ومن ثم تأتي أهم نتائج التي توصل إليها البحث، وقائمة بأهم المصادر والمراجع.

المبحث الأول: النسق الأيديولوجي:

---

[1]– الرسالة: Message : يشير هذا المصطلح السيميائي – وعلى نحو متنوع – إما إلى النص، وإما إلى معنى النص. ويميل المنظرون إلى دمج هذيين المعنيين للرسالة – أي النص ومعنى النص– في مشار إليه واحد تحيل إليه الكتابة. ينظر: معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا)، ص115.

[2]– الشفرات Codes يعد هذا المصطلح أحد المفاهيم الأساسية في علم العلامات . والشفرات السيميوطيقية (أو العلامية) هي أنظمة إجرائية تتكون من مجموعة من الأعراف المترابطة التي تحدد العاقة المتبادلة بين الدوال والمدلولات في مدال معين، ينظر: معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا)، ص30.

[3]– يقصد بمصطلح البث في علم السيمياء أن يقوم مرسل ما، بإرسال رسالة ما، إلى مستقبلٍ ما، وهي صيغة تختزل المعنى إلى مضمون يُرسل ويُسلم كما لو كان طرداً. ينظر: معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا) ، ص230.

[4]– ظلال المعنى: Connotation وهو مصطلح سيميائي يشير إلى التداعيات والإيحاءات الاجتماعية –الثقافية والشخصية – التي تظهر في غضون تفسير القارئ لشفرة النص، ويشير المصطلح كذلك إلى العلاقة بين الدال والمدلول. ينظر: معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا)، ص35.

العدد 4 No 4
تموز 2026 July 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

يبدأ الإمام السجاد (عليه السلام) بنثر بذور أفكاره الأيديولوجية في أماكن متعددة من تراثه، وهذا ما وجدناه في الدعاء الأول في الصحيفة السجادية، وقبل أن نقوم بجمع شتات تلك الأفكار الأيديولوجية المتناثرة هنا وهناك في تراثه الشريف، ومن أجل أن نستخرج مفهوم الثقافة السجادية التي أدارت عجلة المدّ الشيعي المتواري وراء شخص الإمام (عليه السلام)، سوف نسلط الضوء على نقاط مهمة تخص النصوص السجادية، وما تحمله من لغة ثقافية. فالأيديولوجية[1] هنا نقصد بها ذلك النسق من الأفكار التي تحدد السلوك السياسي والاجتماعي، الذي ظهر لنا من خلال لغة الخطاب التي استعملها الإمام (عليه السلام) في جل نصوصه التي وصلت إلينا، حيث تشكل كتلة صلبة من الأفكار قد بناها الإمام بطريقة محكمة، معتمداً في ذلك على قدرته اللغوية في توليد المعاني، التي لا يمكن الوصول إليها؛ إلّا من خلال سيميائيات الثقافة، وهذا ما يتطلب منّا جهداً أدبياً ونقدياً من أجل خلخلة النصوص في لغته الثقافية، واستخراج الدال والمدلول أولاً، ومن ثم الدلالة التي تُحيلنا إلى الأيديولوجية المبطنة في النص، والتي تقسم على الدال، والمدلول الذي بدوره يحيلنا إلى التاريخ[2].

وكذلك يجب أن نشير إلى شيء مهم أيضاً، وهو؛ إننا بعد تتبعنا لتلك النصوص وجدنا الأيديولوجية السجّادية تنقسهم على قسمين هما: النواة الأيديولوجية السجّادية، وأيديولوجية الرفض السّجادية.

أولا. النواة الأيديولوجية السجادية:

كما أشرت سابقاً أنّ الأيديولوجية السجّادية انقسمت على قسمين، ونحن الآن بصدد القسم الأول؛ وهو النواة الأيديولوجية السجادية، واسميته بهذا الاسم لأنّه يمثل المركز الأيديولوجي الذي انطلقت منه الأيديولوجية السجادية، ووضيفة النواة هنا؛ هي التحكم بالبعد الأيديولوجي، وتحديد نوعه ومساره الفكري. وفي هذا النوع استعمل الإمام السجاد (عليه السلام) تقنية فذّة قائمة على أساس تشويش العلاقة بين الدال والمدلول في الخطاب الأدبي، بسبب الأثر الذي يتركه ذلك الخطاب بكليته، إذ خبأ الأيديولوجية وراءها؛ لكون مواد النص هي مواد أيديولوجية أكثر من كونها تاريخية، حيث توكأ الإمام (عليه السلام) على التقسيم البنيوي[3] للنصوص، ونثر الأفكار الأيديولوجية على هيئة مجاميع بنيوية يصعب فك رموزها من قبل الأطراف المعادية له، وقد لا حظت أنّ هذه التقنية التي استعملها الإمام هي ما يطلق عليها في المصطلح النقدي الحديث structuration[4]، أي الهيكلية البنيوية. وهذه التقنية تكون داخل النسق الواحد الذي بدوره ينقسم على أنساق عدّة متظافرة ومتداخلة تكوّن بتعاضدها هذا الكون الثقافي.

وهنا يمكننا أن نرصد شيئاً لافتاً للانتباه، وهو مدى دقة وصعوبة العملية التي من خلالها استطاع الإمام (عليه السلام) تكونين ثقافته السجادية، إذ جعل منها عملية معقدة يصعب فك شفراتها من قبل المعادين لخط الإمامة! فالثقافة كما قلنا هي تدرج هرمي ناتج عن تداخل ما بين الأنساق السيميائية، وهذه الانساق السيميائية لدى الإمام قد قسمها على هيئة بنية، أو مجاميع بنيوية، تشكل بتداخلها هيكلية بنيوية يصعب اختراقها. وهذا التداخل يولّد لنا انساقاً عدّة، من ضمنها النسق الأيديولوجي، والذي انقسم على نوعين، وقد تميز هذا النوع الأيديولوجي، والذي أسميناه نواة الأيديولوجية السجادية بكونه نسقاً

---

[1]– يُقصد بمفهوم الأيديولوجيا Ideology وفق وجهة النظر السيميائية؛ أنّه لا وجود لأنظمة علامات محايدة من الناحية الأيديولوجية؛ فوظيفة العلامات أن تقوم بالإقناع، إلى جانب الإحالة. وتعمل الأيديولوجيا على تكوين الأفراد كذوات من خلال عمل أو نشاط الشفرات. ينظر: معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا) ، ص84.

[2]– ينظر: النقد والأيديولوجية، تيري إيجلتون، ترجمة: فخري صالح، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005، ص111.

[3]– البنيوية Structuralisme : ينظر : السيميائيات القاموس المعقلن في نظرية اللغة، ص658.

[4]– ينظر: النقد والأيديولوجية، ص111.

مجلة محكمة تصدر عن جامعة ساوة الاهلية
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
العدد 4 No 4
تموز 2026 July 2026

مضمراً[1]، قائماً على اساس القرب من البنية العميقة للنص[2]، وابتعاده عن البنية السطحية للنص، ولهذا تميز بكثرة السمات الدلالية[3] التي تحيطه، من أجل إيصال الرسالة إلى المتلقي المستهدف من قبل المرسل.

وبالعودة إلى النصوص الواردة عن الإمام السجّاد (عليه السلام)، سأحاول أخذ العيّنات التي استعملها الإمام لبث رسائله السيميائية التي تحمل بداخلها أفكاره الأيديولوجية، ففي الدعاء الأول من الصحيفة السجّادية؛ يشير الإمام إلى القدرة العلمية المطلقة التي وهبها الله سبحانه وتعالى إلى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بما فيهم الإمام السجاد، فمن خلال هذا الدعاء نلاحظ أبواب العلم التي فتحها الله له كما هو واضح **(فَتَحَ لنا مِنْ أبواب العلم بربوبيته)**[4] ومن هذا النص يبدأ الإمام ببذر أفكار الإمامة لقواعده الشعبية، والتي من أهم مقوماتها القدرة العلمية الفائقة التي يمتاز بها الإمام عن سائر البشر، ويوضح من خلال المعنى الدلالي للنص، بأنّ الله قد فتح لآل البيت (عليهم السلام) أبواب علمه، لأنهم أهلاً لذلك، وهذا ما أكّده (عليه السلام) من الجملة للاحقة **(ودَلّنا عَلَيْهِ من الإخلاص لَهُ في تَوْحيده)**[5] فبعد أنْ فتح الله أبواب العلم لهم، دلهم عليها؛ لأنهم أخلص الناس في توحيد الله، وهذه الميزة الثانية بعد ميزة العلم، وهي ميزة الإخلاص لله.

ومن ثم يرسل الإمام (عليه السلام) الرسالة الأيديولوجية الأخرى للمتلقين، ويثبت بها أحقية أهل البيت (عليهم السلام) السياسية وريادتهم الاجتماعية؛ بوصفهم القادة الإلهيين الذين رتبهم الله بهذه المراتب، وهذا ما يكشفه هذا النص **(وَالْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي اخْتارَ لَنا مَحاسِنَ الْخُلْقِ ... وَجَعَلَ لَنَا الْفَضيلَةَ بالْمَلَكَةِ عَلى جَميعِ الخلقِ، فَكُلُّ خَليقَتِهِ مُنقادَةٌ لَنا بِقُدْرَتِهِ، وصائِرةٌ إلى طاعَتِنا بِعِزَّتِهِ، والحمد لله الذي أغلق عنّا باب الحاجة إلّا إليه ...)**[6] وهنا توكأ الإمام (عليه السلام) على سلسلة من العلامات السيميائية التي تحمل بداخلها الدال الذي يختبئ وراءه مجموعة من الرموز المشفرة، والتي تعطي حركة ديناميكية للرسالة أثناء توجهها بصورة مرنة ومشفرة نحو المتلقي، وهذا ما نطلق عليه السمات الدلالية، إذ تقوم هذه السمات بعمل (تشوشي) confusion يخلق حالة مضطربة بين النص الأدبي المكتوب، والفكرة الأيديولوجية، مما يجعلها صعبة التأويل، ولو لاحظنا بداية الجملة في هذا النص ابتدأها بعبارة **(الحمد لله الذي اختار لنا محاسن الخُلق)** فعبارة (الحمد ...) هي سمة دلالية تقوم بعمل (موشوري)[7] يشتت حزم المعنى في بداية الكلام، ومن ثم يردفه بفعل دال سيميائي وهو **(اختار لنا)** وهنا بدأ يشرع بتعبئة الرسالة بالمفهوم الأيديولوجي، فالاختيار كان من قبل الله وتبعه بـ **(لنا)** أيّ الأئمة الأطهار من آل البيت (عليهم السلام)، وفعل الاختيار هذا هو فعل مهيمن، وكما قلنا هو علامة signe وهذه العلامة سيميائية ناتجة عن اجتماع الدال والمدلول وتحتوي على المرسل والمرسل إليه والرسالة.

---

[1]– النسق الثقافي المضمر يقصد به (أن كل خطاب يحمل نسقين أحداهما ظاهر واعٍ (ثقافي) والآخر مضمر (نسقي) وهذا يشمل كل أنواع الخطابات الأدبي منها وغير الأدبي) ينظر: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، د. سمير الخليل، دار الكتب العالمية، لبنان، 2016، ط1، ص293.

[2]– للإطلاع أكثر على مفهوم البنية العمية للنص ينظر: معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا)، ص208– 211.

[3]– لمعرفة المزيد عن السمات الدلالية؛ ينظر: سيميولوجية الشخصيات الروائية، فيليب هامون، ترجمة: سعيد بنكراد، تقديم: عبد المفتاح كيليوط ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية –سورية ، ط1 ، 2013، ص29.

[4]– الصحيفة السجّادية،الإمام زين العابدين،مؤسسة النشرالإسلاميالتابعة لمجموعة المدرسين بقم، سنة الطبع: 1404– 1363 ش، ص24.

[5]– المصدر نفسه، ص24.

[6]– الصحيفة السجّادية، ص26.

[7]– استعار الباحث هذه الكلمة من لفظة الموشور؛ إذ يستعمل الموشور المثلثي لتشتيت الضوء، بحيث يتحلل إلى عناصره الطيفية.

العدد 4 No 4
تموز 2026 July 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

والرسالة المراد توصيلها؛ هي تكوين فكرة تواصلية في أذهان المتلقين؛ بأنّ الإمام السجاد (عليه السلام) هو ضمن المجموعة التي اختارها الله لتشكيل خط الإمامة. فقد سمح الإمام (عليه السلام) من خلال الاستطراد بالنص، بظهور بعض العلامات السيميائية التي نثرها على طول الخط السردي للنص؛ لتزيد من البعد الدلالي لمفهوم الأيديولوجية السياسية التي يريد الإمام ترسيخها في أذهان شيعته ومحبيه من خلال التوكيدات الدلالية التي قسمها على هيئة مجاميع بنيوية ومتلاصقة فيما بينها كما هو واضح هنا من قوله: **(وَجَعَلَ لَنَا الْفَضيلَةَ بِالْمَلَكَةِ عَلى جَميعِ الخلقِ، فَكُلُّ خَليقَتِهِ مُنقادَةٌ لَنا بِقُدْرَتِهِ)** فلو تَمعّنا في هذا النص ملياً لوجدناه يبدأ أيضا بعلامة سيميائية دالّة، استعمل فيها الإمام صيغة الجعل، وهي مرتبطة بالله عز وجل، وهذا ما يرسّخ في أذهان المتلقين المنصب الإلهي الذي أعطاه الله لآل البيت (عليهم السلام) والذي يحيلنا إلى البعد السياسي؛ الذي يؤكد أحقيتهم في قيادة الأمة، وكذلك مظلوميتهم بعد أن استلب الطغاة ذلك الحق الإلهي منهم، والدليل هو أن كل الخليقة التي خلقها الله بهذا الكون منقادة لهم، أي مُسَلِمة لهم بالطاعة، وهذا الشيء هو واجب وأمر إلهي يجب طاعته، كما أكده الإمام بقوله: **(وصائِرةٌ إلى طاعَتِنا بِعِزَّتِهِ)** فكل شيء بهذا الكون صائر إلى طاعة أوامرهم (عليهم السلام) عاجلاً أم آجلاً. وهذه الصيرورة مصدرها الله سبحانه وتعالى. وهنا بدأت ملامح النواة الأيديولوجية للأمام السجاد (عليه السلام) تظهر، من أجل تعبأة القاعدة الشعبية المناصرة له بهذه الأفكار.

ومن خلال هذا التحليل السيميائي، استطعت تحديد نقطة الانطلاق من خلال النواة الأيديولوجية له إذ أظهرت لنا فكرة الإمامة لدى الإمام السجاد (عليه السلام)

وفي مكان آخر يمكننا تحليل بعض العلامات السيميائية التي وضعها الإمام (عليه السلام) بوصفها علامات تحذيرية، تنبيء بخطورة الموقف والوضع العام الذي هم فيه، وهذا ما يبرر استعماله لهذا الأسلوب، والذي اعتمد به على توليد المعنى، وإضمار الأنساق الثقافية، كما هو واضح من هذا النص الوارد ذكره في الصحيفة السجادية بعنوان: "دعاؤه لنفسه وخاصته" إذ يقول: **(واكفِنا حَدّ نوائِبِ الزّمانِ ... ومرارة صَولةِ السُّلطان)**[1] وهنا يحذر الإمام (عليه السلام) خاصته ومناصريه من بطش السلطات وقمعهم لهم إذا ما اكتشفوا خطورة افكارهم التي ترفض الحكم الجائر، وقد جاء التحذير بهيئة علامات ورموز تخفي وراءها رسائلاً مشفرة بثها الإمام عن طريق الدعاء، لكنه رغم هذا التعبير يؤكد لقواعده الشعبية ضرورة الالتزام بالأيديولوجية الشيعية؛ التي تنتهج فكرة الدعوة لطريق الله الذي رسمه من خلال نهج الإمامة وهذا واضح في نهاية الدعاء المذكور نفسه **(اللّهُمَّ صَلِّ على محمد وآلهِ، واجعلنا مِنْ دعاتِكَ الدّاعينَ إليكَ، وهداتِكَ الدالين عليك، ومن خاصَّتِكَ الخاصّينَ لديكَ)**[2] وفي هذا النص تعمل السمات الدلالية على ارجاع ذهن المتلقي للرسالة المشفرة القائمة على اساس التحذير وفي الوقت نفسه تربطه فكرياً بالأيديولوجية الإمامية، ولهذا جعل كل عنصر من عناصر القواعد الجماهيرية يحمل فكرة الدعوة لله، والمراد منها الدعوة لولاية آل بيت (عليهم السلام) وأن يكونوا من خاصتهم، وهذه المرتبة تأتي باتباع تعاليمهم ووصاياهم، واعتناق افكارهم.

وبعد أن نثر الإمام أفكاره الأيديولوجية على شكل علامات ذات رموز مشفرة على طول الخط السردي في نصوصه التي جاءت على هيئة أدعية، نلاحظ في نصه الوارد في الصحيفة السجادية بعنوان " دعاؤه عند الصباح والمساء " بأنه استعمل بنية مغايرة، وهذا اسلوب انتهجه (عليه السلام) كما قلنا سابقا باستعمال البنية المتعددة، أو الهيكلية البنوية داخل النسق الثقافي الواحد، وبعد انعكاس الدال والمدلول للعلامة السيمائية تولد لدينا دلالة جديدة، تأخذ دور السمة الدلالية التي تشير إلى وحدة الرؤى داخل الكون الثقافي الذي يعتمد على البعد الأيديولوجي، وهذا ما يشير إليه النص هذا: **(أللّهم صَلِّ على محمد وآلهِ، ووفقنا في يومنا هذا، ولليلتنا هذه، وفي جميع أيّامِنا لاستعمال الخير، وهِجرانِ الشرّ، وشكر النعم، وّاتبّاع السُنَنِ، ومجانبةِ البدعِ، والأمرِ بالمعروفِ، والنَّهيِ عن المُنكرِ، وحياطةِ الإسلامِ، وانتقاصِ**

[1]– الصحيفة السجّادية، ص45.

[2]– الصحيفة السجّادية، ص46.

العدد 4 No 4
تموز 2026 July 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

الباطل وإذلالِهِ، ونُصرَةِ الحقّ وإعْزازِهِ، وإرشادِ الضّالّ، وَمُعاونَةِ الضَّعيفِ، وإدْراكِ اللَّهيفِ .)[1] وفي هذا النص يخرج الإمام من البنية العميقة للنص، إلى البنية السطيحة، إذ يبين الإمام لاتباعه وجهة نظره الأيديولوجية، والتي يمكننا اختزالها بكونه الإمام والقائد الوحيد لهذه الإمة، وقد وضع في هذا النص قرائن وعلامات تدل على ذلك، ومنها **(اتباع السنن) (مجانبة البدع) (الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر) (حياطة الإسلام) (انتقاص الباطل وإذلالهِ) (نصرة الحق وإعزازه) (إرشاد الضّال) (معاونة الضعيف) (إدراك اللّهيف)** فلو جمعنا هذه العبارات، وأخضعناها إلى التحليل في المختبر السيميائي، لوجدناها عبارة عن علامات استعملها الإمام (عليه السلام)، يحاول عن طريقها إرسال رسالة تؤكد حقه في الإمامة، واصدار الأوامر والتعليمات الدينية وفق وجهة النظر الإمامية التي أرسى مبادئها أئمة آل البيت (عليهم السلام). فقد خلط بين التعليمات والأوامر داخل الوعاء الأيديولوجي؛ ليكوّن لغة ثقافية داخل العمق البنيوي للهيكلية البنيوية، والرسالة التي يريد ارسالها تختبئ وراء جدار الدعاء، فهو حينما يطلب من الله اتباع السنن، فهو يطلب من أنصاره ذلك الشيء، وحينما يطلب من الله مجانبة البدع فهو بذلك يطلب من اتباعه ذلك، وهنا يرتفع نحو سطح المعاني شيئاً فشيئاً بصورة تدريجية، وصولاً بهم إلى إظهار معنى عميق مضمر داخل النسق الثقافي، ألا وهو البعد السياسي، والذي اختزله بـعبارات تقابلية مبنية على أساس المقابلة اللغوية؛ بوصفها الركيزة الأساس لسيمياء الثقافة هنا، فجاء هذا التقابل بمثابة جسر يربط بين البنية العميقة والبينة السطحية، لتتوحد الفكرة الأيديولوجية عن طريق هذه السمة الدلالية (انتقاص الباطل وإذلاله) والذي قابله لغويا (ونصرة الحق وإعزازه) وهذا التقابل اللغوي، سببه قدرة الإمام على توليد المعاني داخل اللغة الثقافية، من أجل تحريك الأنساق داخل الكون الثقافي، واعطاءها بُعدًا ديناميكيًا يوسّع من الدائرة الأيديولوجية، من أجل ديمومة الثقافة السجادية على طول الخط الزمني المتمثل من انتهاء أحداث كربلاء وإلى يومنا هذا، ولهذا قلنا سابقاً، بأنّ الثقافة السجادية؛ امتازت عن غيرها، بصعوبتها، وتعقيدها، نظراً لظروفها الموضوعية التي أحاطتها. وبالعودة إلى النص نفسه نجد أن الإمام جعل من تقنية التقابل اللفظي وسيلة للتمويه أو ما يعرف بمصطلح الإيهامية[2] ILLUSIONISM، معتمداً في ذلك على ما يسمى في علم السيمياء بظلال المعاني[3] Connotation والهبوط سريعاً في غور المعنى العميق للنص، بعد أن ظهر ظهوراً سريعاً في التقابل الأيديولوجي، فلو لاحظنا نهاية هذه المقابلة اللفظية (وإرشادِ الضّالّ، وَمُعاونَةِ الضَّعيفِ، وإدْراكِ اللَّهيفِ) نلاحظ أن طابع الإرشاد والوعظ هو السائد عليها، وهذا ما أعطى طابع زئبقي – إن صح التعبير – للنص، إذ جعل منه أداة سريعة للعودة إلى البنية العميقة للنص في محور الخط السردي.

وبعد تتبعنا لتراثه (عليه السلام) وجدنا الأيديولوجية السجادية تنقسم على نوعين، يحدد كل نوع من هذه الأنواع بعدها أو قربها الدلالي من البنية العميقة، أو البنية السطحية للنص أو ما يسمى سيميائياً بسطح أو مستوى المضمون Plane of content[4]. فالأيديولوجية القريبة من المعنى العميق، والبعيدة من المعنى السطحي للنص، اسميتها النواة الأيديولوجية السجادية، أما الأيديولوجية ذات الدلالة البعيدة من المعنى العميق للنص، والقريبة من المعنى السطحي للنص؛ فأسميتها أيديولوجية الرفض السجادية.

ثانيا. أيديولوجية الرفض السجادية:

في هذا النوع من الأيديولوجية، تتبلور لنا أيديولوجية الإمام السجاد (عليه السلام) بصورتها الكاملة والواضحة المعالم، إذ تكون بهيئة قريبة من البنية السطحية للنص، وبعيدة عن المعنى العميق للنص، وهنا نجد النصوص لا تحتوي على سمات دلالية إيحائية كثيرة، بل تعتمد على البعد الدلالي المباشر إذ تتحرك

---

[1]– الصحيفة السجادية، ص51.

[2]– : معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا)، ص85.

[3]– ينظر: المصدر نفسه، ص35.

[4]– ينظر: معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا)، ص151.

مجلة محكمة تصدر عن جامعة ساوة الاهلية
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
العدد 4 No 4
تموز 2026 July 2026

البنية الداخلية للنصوص بصورة دينامية داخل الهيكل البنيوي للنسق الثقافي، وتكون اللغة الثقافية معتمدة على الدلالة السيميائية المباشرة، وبهذا تكون الرسالة المراد إيصالها للمتلقي تتحرك بصورة واضحة على الخط السردي للنص كما هو واضح هنا (**رَبِّ صَلِّ عَلَى أَطَايِبِ أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ لِأَمْرِكَ، وَ جَعَلْتَهُمْ خَزَنَةَ عِلْمِكَ، وَ حَفَظَةَ دِينِكَ، وَ خُلَفَاءَكَ فِي أَرْضِكَ، وَ حُجَجَكَ عَلَى عِبَادِكَ، وَ طَهَّرْتَهُمْ مِنَ الرِّجْسِ وَ الدَّنَسِ تَطْهِيراً بِإِرَادَتِكَ، وَ جَعَلْتَهُمُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْكَ، وَ الْمَسْلَكَ إِلَى جَنَّتِكَ**)[1] فلو نظرنا لهذا النص نظرة سيميائية لوجدنا البنية الهيكلية مزدحمة بمجاميع عدّة من العلامات المتقابلة ما بين الدال والمدلول، لتبث رسائلها السيميائية على هيئة دلالية مُشعّة، تقوم ببث الرسائل بصورة دينامية سريعة على سطح الأفق السردي للنص، فالإمام يشير لقضايا عقائدية مهمة من خلال هذا النص، مفصحاً بذلك عن أيديولوجيته القائمة على أساس الرفض للأنظمة الحاكمة، والتي يعدّها أنظمة مستبدة وظالمة لحق آل البيت (عليهم السلام) لأن اختيار النظام وفق الأيديولوجية السجادية؛ هو اختيار إلهي كما هو واضح (**الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ لِأَمْرِكَ...**) فالله هو الذي اختارهم لأمره، وأعطاهم من علمه؛ فهم خزنة علم الله، وهم المسؤولون عن حفظ دين الله الحق، هم وحدهم دون غيرهم، ولذلك جعلهم الله الخلفاء الشرعيين والحكام الحقيقين لكوكبنا كوكب الأرض مثلما صرّح الإمام السجاد (عليه السلام) في هذا الموضع: (**وَ خُلَفَاءَكَ فِي أَرْضِكَ، وَ حُجَجَكَ عَلَى عِبَادِكَ**) وذلك لأنّ الله (عزّ وجل) جعل لهم صفات خاصة؛ لا يمتلكها بقية البشر، وقد وضّح الإمام بعض هذه الصفات في هذا المقام، فبعد أن جعلهم الله خزنة علمه، وهذا يدل على تفوقهم العلمي، جعلهم أيضاً أطهر البشرية على حدّ سواء، إذ أعطى الإمام اسباب ذلك قائلاً: (**وَ طَهَّرْتَهُمْ مِنَ الرِّجْسِ وَ الدَّنَسِ تَطْهِيراً بِإِرَادَتِكَ**) وهذا يعني أنّ إرادة الله نفذت واخترقت كل الأسباب الكونية لتجعل منهم بهذه المرحلة من الطُهر. وهذا الطُهر الإلهي لهم ينعكس على أشياء عدّة، وليس طُهراً اعتباطياً، فهو يشمل طُهر الروح والأخلاق، وهذا ما ينعكس على البعد الاجتماعي إذا ما أتيحت لهم فرصة الحكم، وقيادة الأمة، وقد أضيف هذا الطُهر إلى مسألة العلم الذي وهبه الله لآل البيت (عليهم السلام) من أجل تسخير هذا العلم لغرض خدمة الناس، لا لاستعبادهم، ومن هنا وضع هاتين النقطتين – العلم والطُهر – في مصفٍ واحد، لبيان أن السلطة التي اعطاها الله للأئمة الأطهار (عليهم السلام) تمثل أماناً للبشرية في مسألة تحقيق العدالة الاجتماعية، وضمان حقوق الناس مهما تعددت دياناتهم وأعراقهم.

ومن هنا حدد الإمام السجّاد (عليه السلام) معالم تلك الإيديولوجية، وأعطى صورة الوعاء الحافظ لها، والشخص القيّم عليها – وأقصد به الإمام – كونه يملك الصفات والأدوات التي تحقق له ضمان الحفاظ على كرامة الإنسان وحقوقه، ومن أهم هذه الأدوات الإجرائية التي تحقق العدالة بين البشر عند الحكم هي مسألة الطُهر الإلهي، والعلم الإلهي الذي يفوق تصور البشر؛ لكون الأئمة هم وحدهم خزنة علم الله، والله هو العليم الخبير.

ومن ثم يشير الإمام (عليه السلام) إلى بعد أيديولوجي مهم، يجب الأخذ به في عين الاعتبار، ألا وهو الموقع الكوني لآل البيت (عليهم السلام) إذ جعل موقعهم الكوني بمثابة البوصلة التي تحدد مسار الرحلة والتي لا تتم إلّا بوساطة طريق الله الحق، أو لنقل أيضا هم بمثابة المرفأ الذي يحدد تجاه السفن على سواحل البحار. فلا يمكن ابداً السلوك في طريق الله من دونهم، وفق ما ورد في هذا النص (**وَ جَعَلْتَهُمُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْكَ، وَ الْمَسْلَكَ إِلَى جَنَّتِكَ**) فهم الوسيلة والمسلك إلى الله وجنته الموعودة.

وفي نص آخر يظهر قرّب الأمام من زاوية الرؤيا، وجعلها أكثر تركيزاً؛ لكي يقرّب إلى ذهن المتلقي فكرة الإمام الأيديولوجية القائمة على الرفض للنظم الطاغوتية الموجودة، والتي سلبت حق آل البيت (عليهم السلام) ذلك الحق الذي جاءهم من الله سبحانه وتعالى، حيث أكدّ الأمام في أكثر من موضع على هذه الفكرة كما سنراه هنا (**اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَيَّدْتَ دِينَكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ بِإِمَامٍ أَقَمْتَهُ عَلَماً لِعِبَادِكَ، وَ مَنَاراً فِي بِلَادِكَ بَعْدَ أَنْ وَصَلْتَ حَبْلَهُ بِحَبْلِكَ، وَ جَعَلْتَهُ الذَّرِيعَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ، وَ افْتَرَضْتَ طَاعَتَهُ، وَ حَذَّرْتَ مَعْصِيَتَهُ، وَ أَمَرْتَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَ الِانْتِهَاءِ عِنْدَ نَهْيِهِ، وَ أَلَّا يَتَقَدَّمَهُ مُتَقَدِّمٌ، وَ لَا يَتَأَخَّرَ عَنْهُ مُتَأَخِّرٌ فَهُوَ عِصْمَةُ**

[1]– الصحيفة السجّادية، 235–254.

مجلة محكمة تصدر عن جامعة ساوة الاهلية
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
العدد 4 No 4
تموز 2026 July 2026

اللَّائِذِينَ، وَ كَهْفُ الْمُؤْمِنِينَ وَ عُرْوَةُ الْمُتَمَسِّكِينَ، وَ بَهَاءُ الْعَالَمِينَ)[1] فلا يمكن للدين أن يحفظ إلّا بإمام أقامه الله علماً وشاخصاً على عباده، وهو المنار الذي يحدد التجاه صوب طريق الله، لأنّ الله وصل حبله بحبلهِ وجعله غير منقطع عنه. ولو عدنا إلى النقطة الأيديولوجية الأهم في هذا النص، والتي تحدد مركز النواة الأيديولوجية سنجدها متمحورة في هذه البنية النصية **(وَ افْتَرَضْتَ طَاعَتَهُ، وَ حَذَّرْتَ مَعْصِيَتَهُ، وَ أَمَرْتَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَ الِانْتِهَاءِ عِنْدَ نَهْيِهِ، وَ أَلَّا يَتَقَدَّمَهُ مُتَقَدِّمٌ، وَ لَا يَتَأَخَّرَ عَنْهُ مُتَأَخِّرٌ)** فلا طاعة، ولا أمرًا للسلطان غير طاعة أوامر الأمام وهذه الطاعة مفروضة من الله على سائر المخلوقات؛ لأنّ الله أمر بالامتثال لأوامره، والانتهاء عن نواهي الأمام، وكذلك من غير المسموح به تحريك الأشياء الجوهرية المتعلقة بمصير الأمة، ولا تقديمها ولا تأخيرها؛ إلّا وفق وجهة نظر الإمام وأن تتم وفق رؤيته هو! وقد أعطى الإمام السجاد المبررات لكل هذه الأمور بنهاية النص حينما قال: **(فَهُوَ عِصْمَةُ اللَّائِذِينَ، وَكَهْفُ الْمُؤْمِنِينَ وَ عُرْوَةُ الْمُتَمَسِّكِينَ، وَ بَهَاءُ الْعَالَمِينَ)** ولو دققنا النظر بهذه البنية الهيكلية داخل النص؛ لوجدناها بنية ذات طابع سببي، تقدم الإجابة لكل التساؤلات الواردة في أذهان المتلقين، حينما يكون السؤال لماذا وضع الله كل هذا التوكيدات التي تؤكد على طاعة الإمام، وامتثال أوامره؟ فجاءت الإجابة أن الإمام (عليه السلام) يمثل صمام الأمان الذي وضعه الله حينما خلق الكون وأبدعه، والله بمعرفته الكلية للأشياء حدد منصبهم فجعلهم عصمةً للائذين، وكهفاً للمؤمنين، وعروةً للمتمسكين، وبهاءً للعالمين من خلال الصفات الخاصة التي جعلها الله بهم، وهذه الصفات تمثل الأدوات التي تمكّن الإمام من تفوقه على بقية البشر بإعطاء الحلول الناجعة للبشرية وقيادتها نحو برّ الأمان، وهذه الأشياء غير متوفرة عند بقية البشر ولهذا كانت طاعة الإمام واجبة علينا نحن البشر فهذه الأمور- من صفات خاصة وهبها الله للإمام - كلها تُعد نظام حمايةٍ كوني جعله الله في هذا الكون الرحب، ومن هنا دخلت أيديولوجية الرفض السجّادية موضع المصادمة الفكرية مع سائر الأيديولوجيات المنتشرة في ذلك العصر، ومن ضمنها أيديولوجية السلطة الأموية التي كان لها فكرها وأيديولوجيتها القائمة على إقصاء آل البيت (عليهم السلام) واضطهادهم، هم وأنصارهم وشيعتهم الذين سلكوا طريقهم، وأتمروا بأوامرهم، وأعلنوا الطاعة لهم، وهذا ما أكدّت عليه زيارة عاشوراء الواردة عن الأئمة (عليهم السلام): **(فلعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت، ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم، وأزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها ...)** فلو نظرنا إلى هاتين العبارتين **(ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم) (وأزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها)** لوجدنا فيها تأكيداً واضحاً على أيديولوجية الرفض التي أسسها الإمام السّجاد (عليه السلام) والتي تنص على فكرة الإمامة الكونية لهم فمقام آل البيت (عليهم السلام) ومراتبهم هي مقامات مرتبة بشكل هندسي من قبل مهندس الكون الأول؛ وهو الله سبحانه وتعالى، فالله حينما خلق الكون وضع آل البيت بمراتب مهمة بالنسبة لضمان أمن البشر، ولهذا قامت السياسات الظالمة بإزالتهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها وهذا الظلم والإجحاف بحقهم أدى إلى إخلال بالطبيعة الكونية والتي نحن نعاني من تبعاتها إلى يومنا هذا. حيث الظلم هو من يسود، وما يرافقه من خراب ودمار في كل أرجاء المعمورة، ولهذا السبب تبنّى الإمام فكرة الرفض لتلك الأيديولوجيات المنحرفة والقائمة على أساس أقصاء آل البيت (عليهم السلام) وذلك لعلم الإمام – بوصفه أحد خزنة علم الله – بأنّ عدم تحقيق الإرادة الإلهية المتمثلة بمسألة الإمامة؛ سوف يضر بالبعد الكوني الذي سينعكس بصورة سلبية على حياة البشر، لأنّه إخلال بالنظام الكوني، بتحدّيهم لإرادة الله. ولو لاحظنا الهيكلية البنيوية لهذه النصوص المتداخلة في النسق الأيديولوجي؛ نجدها من الناحية السيميائية تختلف عن النوع الأول من الأيديولوجية والتي اسميناها نواة الأيديولوجية السجّادية، التي اعتمدت اعتماداً كبيراً على توليد المعاني داخل النسق الأيديولوجي في البنية العميقة للنص، فهي محاطة بدلالات سيميائية عدّة، لتقوم تلك الدلالات السيمائية كما قلنا بوظيفة إيحائية تُسّهل من ايصال الرسائل المشفرة الناتجة عن تظافر الدال والمدلول لكي يستقبلها المتلقي المستهدف من قبل المرسل.

---

[1]– الصحيفة السجادية الكاملة رسالة الحقوق، الإمام زين العابدين، تقديم: سماحة الإمام السيد محمد باقر الصدر، منشورات الرضا، ط1، 2008، ص194.

مجلة محكمة تصدر عن جامعة ساوة الاهلية
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
العدد 4 No 4
تموز 2026 July 2026

أما في هذا النوع فالعملية مختلفة تماماً، لأن النصوص تطفوا على سطح البنية السطحية للنص، وتتحرك بشكل ديناميكي مرن على خط الأفق السردي للنص، مما يجعل رسائلها ذات طابع مُشع بالعلامات ولذا يسهل التقاطها من قبل المتلقي، ولا يحتاج إلى التوكؤ على توليد المعاني والحركة داخل أعماق البعد العميق للنص، وذلك لأن نظامها السيميائي يعمل بصيغة القصدية الواضحة من قبل المرسل إزاء المرسل إليه مستعيناً بالدلالة المباشرة والمدلول الظاهر، وهذا ما جعلها لا تعتمد على السمات الدلالية من أجل فك شفرة المعنى لفهم الرسالة.

وقد استعمل الإمام (عليه السلام) هذه التقنية وفق رؤيته التي تنبع من السلطة التي يمتلكها المؤلف إزاء النص، مع مراعاة الظروف الموضوعية التي تحيطه، إذ يكون الإمام (عليه السلام) عارفاً حينما كتب النص وفق رؤيته الأيديولوجية التي لا تنفك عن ظروف وملابسات الحدث الاجتماعي الذي يعيشه. وهذا ما نلاحظه من خلال مقارنتنا ما بين النصوص التي يعبّر فيها عن كل نوع من أنواع أيديولوجيته التي يقوم ببثها لقواعده الشعبية، وربما يخرج عن ذلك ببث رسائله أيضاً لأعدائه والمتربصين به من الحكام الظلمة، الذين تسلطوا على رقاب الأمة، ويبقى اختيار كل نوع من أنواع الأيديولوجيات مُناطاً بشخص الإمام، وتقديره للظروف والمواقف التي تتحكم في الأحداث، وهنا نجد الأمام (عليه السلام) تارةً يبث رسائله فقط لقواعده الشعبية، وتارة أخرى نجده يبثها لقواعده وعوام الناس، وحتى أعدائه مشمولين بهذه الرسائل، ونجد مثالاً على ما نقول في رسالة الحقوق حينما قال فيها الإمام زين العابدين (عليه السلام) : **(وأَمَّا حُقُ رعيتك بِالسُّلْطَانِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ إِنَّمَا اسْتَرْعَيْتَهُمْ بِفَضْلِ قُوَّتِكَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَحَلَّهُمْ مَحَلَّ الرَّعِيَّةِ لَكَ ضَعْفُهُمْ وَذُلُّهُمْ فَمَا أَوْلَى مَنْ كَفَاكَهُ ضَعْفُهُ وَذُلُّهُ حَتَّى صَيَّرَهُ لَكَ رَعِيَّةً وَصَيَّرَ حُكْمَكَ عَلَيْهِ نَافِذاً لَا يَمْتَنِعُ مِنْكَ بِعِزَّةٍ وَلَا قُوَّةٍ وَلَا يَسْتَنْصِرُ فِيمَا تَعَاظَمَهُ مِنْكَ إِلَّا بِاللَّهِ بِالرَّحْمَةِ وَالْحِيَاطَةِ وَالْأَنَاةِ وَمَا أَوْلَاكَ إِذَا عَرَفْتَ مَا أَعْطَاكَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِ هَذِهِ الْعِزَّةِ وَ الْقُوَّةِ الَّتِي قَهَرْتَ بِهَا أَنْ تَكُونَ لِلَّهِ شَاكِراً وَ مَنْ شَكَرَ اللَّهَ أَعْطَاهُ فِيمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)**[1] وإذا ما قمنا بتشريح هذا النص، واستخراج علاماته السيميائية، نلاحظ عدّة نقاط مهمة منه وهي : إنّ الإمام السجّاد (عليه السلام) في هذا الموضع، استعمل لغة الخطاب المباشر، دون الالتفاف على المعاني بوساطة السمات الدلالية التي رأيناها سابقاً، وهذا ما جعله ينضوي تحت النوع الثاني من الأنساق التي اشرنا إليها، وهو نسق الرفض السجّادي، فالخطاب هنا لا يحتاج إلى الغوص في البنية العميقة للنص. وهناك ثمة ملحوظة أخرى نود طرحها، من خلال تشريحنا للنص، وهذه الملحوظة تخصُّ نوعية الخطاب المستعمل، وإذا قمنا بتقريب الرؤية داخل المعاني المختبئة وراء الكلمات، نجده خطاباً سلطوياً، يوحي بأنّ صاحبه يمتلك سلطة معنوية كبيرة تتيح له توجيه خطابه للحاكم أو السلطان في زمنه وبقية الأزمنة، وتنبع هذه السمة السلطوية من خلال الدور الكوني الذي أعطاه الله له؛ لكونه إماماً المدجج بالعلم والمعرفة والطُهر وحده من يستطيع تقدير المواقف والبت بها، ولهذا يتكلم في الموضوع الذي يجب الكلام فيه وفق الرؤية التي يراها تقابل ذلك الموقف. وقد ضّمن هذا الخطاب نوعاً من الانتقادات التي أحيطت بشيء من التوجيهات للحكام والسلاطين، بخصوص الكيفية التي يجب من خلالها أن يحكم الحاكم رعيته، وقد استطعنا من خلال هذا النص إثبات نسق الرفض السجّادي الذي قام به الإمام بكونه رافضاً لحكم هؤلاء المغتصبين لحقوق الأئمة (عليهم السلام) وكان دليلي على هذا الرفض، هو مجموعة العلامات السيميائية التي نشرها على طول خط الأفق السردي للنص، إذ قام بعملية تشريح سيسيولوجي للمجتمع، بوساطة تسليط الضوء على طبقاته الاجتماعية، وكيفية عيشهم، وما الأسباب التي مكّنت الحاكم من امتلاك السلطة عليهم وهذا ما نجده هنا **(فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ إِنَّمَا اسْتَرْعَيْتَهُمْ بِفَضْلِ قُوَّتِكَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَحَلَّهُمْ مَحَلَّ الرَّعِيَّةِ لَكَ ضَعْفُهُمْ وَذُلُّهُمْ)** فهو يربط بين ضعف المجتمع، وانهيار منظومته القيمية، وبين امتلاك القوة لذلك السلطان، مما جعله يوسع نفوذه الاجتماعي، والذي مكنه من حكم تلك الطبقات الضعيفة، وإحكام قبضته عليها. وهذا ما نلاحظه من كلامه (عليه السلام) في هذا النص: **(إِنَّمَا أَحَلَّهُمْ مَحَلَّ الرَّعِيَّةِ لَكَ ضَعْفُهُمْ وَذُلُّهُمْ فَمَا أَوْلَى مَنْ كَفَاكَهُ ضَعْفُهُ وَذُلُّهُ حَتَّى صَيَّرَهُ لَكَ رَعِيَّةً وَصَيَّرَ حُكْمَكَ عَلَيْهِ نَافِذاً لَا يَمْتَنِعُ مِنْكَ بِعِزَّةٍ وَلَا قُوَّةٍ)** فلو تأملنا تحليله (عليه

[1]– الصحيفة السجادية الكاملة رسالة الحقوق، ص296 – 297.

العدد 4 No 4
تموز 2026 July 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

السلام) لطبقات المجتمع، وتسليط الضوء على النقاط المهمة التي مكنت الحاكم من حكم المجتمع، نجدها بمثابة ردة فعل إزاء تلك السلطة بمقابل سلطته بوصفه إمامًا وقائداً، فهو لا يزال ينتقد الحاكم مستعيناً بطريقته التحليلة الدقيقة للمجتمع، مستعملاً مفردات قائمة على أساس المقابلة، والتي يزداد فيها عنصر التكثيّف السيميائي مثل قوله: **(إِنَّمَا أَحَلَّهُمْ مَحَلَّ الرَّعِيَّةِ لَكَ ضَعْفُهُمْ وَذُلُّهُمْ)** وهنا قد شخّص العنصر الرئيس الذي مكّن الحكام والسلاطين من التسلط على رقاب الناس، وهذا العنصر مرتبط بضعف المجتمع، وعدم قدرته على المواجهة في الدفاع عن نفسه، وعن حقوقه وأهدافه السامية، وهذا الضعف قد ألبسهم طابع الذلة، والهوان، كما بيّنه (عليه السلام) في جمله الآحقه **(فَمَا أَوْلَى مَنْ كَفَاكَهُ ضَعْفُهُ وَذُلُّهُ حَتَّى صَيَّرَهُ لَكَ رَعِيَّةً وَصَيَّرَ حُكْمَكَ عَلَيْهِ نَافِذاً)** فالضعف والذل في صفوف المجتمع هو من جعل السلطان يحكمهم، ويبسط نفوذه عليهم كما قلنا.

إنّ النظرة السيميائية لهذا النص الوارد في رسالة الحقوق للإمام السجّاد (عليه السلام) تبين لنا انتماء هذا النص لأيديولوجية الرفض السجّادية، إذ تهيمن على لغة الخطاب النصي سمة الدلالة المباشرة النابعة من رفض الإمام لمنظومة المجتمع السياسية؛ كونها منظومة فاسدة استغلت ضعف الناس، وذلهم، وتقاعسهم عن الدفاع عن حقوقهم ومبادئهم ومثلهم العليا المتمثلة بخط الإمامة, وهنا لم يستعمل الإمام اسلوب الغوص في البنية العميقة للنص، وهذا ما جعلها لا تتوكأ على السمات الدلالية، بل جعل الأيديولوجية فيها طافية على سطح الأفق السردي، وما يميز هذه الأيديولوجية أنها تزيد من عمق المعاني ذات الدلالات الإيحائية التي تجعل من بعض العلامات السيميائية الواردة في النص أشبه بالعلامات المرورية المنتشرة على طول الطريق؛ لإرشاد السائقين على صحة وجهة السائق، وأهم الأساليب المتبعة من أجل سلامته، وهذا ما وجدناه تماماً في كلامه (عليه السلام) حينما نشر تلك العلامات في أفق السرد لتبين فحوى أيديولوجيته المتبعة للمتلقي، إذ يفهم المتلقي من خلالها المحور الأيديولوجي للإمام وهو المحور القائم على أساس الرفض لتلك النظم، والقيادات السياسية التي تسلطت على رقاب الناس بسبب ضعف وانهيار قوة المجتمع، وهذا الضعف ناتج عن ابتعاد المجتمع عن قادة وأئمة الهدى الذين نصبهم ورتّبهم الله سبحانه وتعالى في تلك المراتب التي اختارها لهم، وهذا الابتعاد عن خط الإمامة نتج عنه – كنتيجة حتمية وسنة كونية – ضعف المجتمع وإذلاله، مما أدى إلى تولي الظلمة والطواغيت على رقابهم. وقد دعم الإمام أيديولوجية الرفض التي تبناها بتكثيف المعاني التي تدل على أنّه صاحب الحق الشرعي في الحكم، وقد بث تلك المعاني في لغة الخطاب النصي على هيئة علامات سيميائية يستدل بها المتلقون لهذا الخطاب، ويجعلون منها أيديولوجية يؤمنون بها، ويجعلون منها خطاً كان بدايته الإمام السجاد (عليه السلام)، ولا توجد له نهاية، إذن؛ فهي أيديولوجية قائمة ليومنا هذا، ومن هنا تكمن أهمية فلسفة الإمام السجاد (عليه السلام)، وأيديولوجيته التي تبناها بوصفها أيديولوجية الرفض لدى الشيعة، والتي نحن نجني ثمارها اليوم.

المبحث الثاني: النسق الروحي:

قلتُ سابقاً إنّ ثقافة الإمام السجّاد (عليه السلام) هي مجموعة أنساق متراكمة بشكل تدريجي، وهذه الأنساق المتراكمة بتظافرها وهي مجتمعة؛ تكوّن تلك الثقافة التي نبحث عنها بين طيات اللغة الثقافية للإمام ومصدرها تراثه الذي وصل إلينا، وهو عبارة عن الأدعية والأعمال، وخطبه، ورسالة الحقوق، وكل ما ورد عنه وهنا يأتي دور سيميائيات الثقافة بكشف تلك اللغة الثقافية أولا، ومن ثم تحليل العلامات السيميائية وما تفضي إليه من دال ومدلول ومرسل ورسالة موجهة من قبل المرسل إلى المرسل إليه، وبعد كشفنا عن النسق الأول وهو النسق الأيديولوجي، نحاول في هذا الموضع أن نكشف عن النسق الثاني. وهذا النسق – النسق الروحي - الذي ظهر من خلال تحليل النصوص الواردة عن الإمام السجّاد والبحث في دلالات المعاني ومدلولاتها التي أحاطت بتلك العلامات السيميائية، لقيت أن النسق الروحي في تراثه يمثل جوهر تلك الثقافة السجّادية، مع الأخذ بعين الاعتبار تعاضده وتظافره مع النسق الأيديولوجي، إذ يمثل النسق الروحي بنية مهمة تؤازره؛ بل يمكننا القول بأن هذا النسق الروحي يمثل البوصلة التي تحدد مسار النسق الأيديولوجي، لأن أيديولوجية الأمام محاطة بهذا النسق الروحي، ونابعة منه. ولابدّ أن

أوضح للقارئ الكريم ماذا نقصد بهذا النسق الروحي من خلال وجهة النظر السيميائية؟ فالمقصود بالنسق الروحي؛ هو ذلك النسق الذي يمثل الطاقة الروحية في النصوص وأكثر مصاديقها هي عمليات مختلفة متفاعلة فيما بينها؛ أهما معرفة مصدر تلك الطاقة وتحديد ماهيته وفق وجهة نظر الإمام السجّاد والمقصود بمصدر تلك الطاقة الروحية هو الخالق العظيم، وكذلك هنالك عنصر مهم أيضاً يحدد كيفية مجرى تلك الطاقة الروحي داخل النصوص وهو طبيعة العلاقة بين المخلوق وخالقه بما فيها من اتباع تعاليمه وارشاداته والتي كانت الإمامة جزءاً مهماً منها، بما فيها من رؤى ميتافيزيقية تجاه الكون وخالقه، وقد استطعت استخراج هذا النسق الروحي من اللغة الثقافية التي تحدثت عنها سابقاً، حيث استعملها الإمام في نصوصه الواردة وكانت مملوءة بالعلامات السيميائية، إذ جعلها تفضي إلى دلالات عدّة ومدلولات مختلفة من أجل إيصال رسائله للمتلقين؛ ولهذا كان النسق الروحي بما يحتويه من ثنائية الدال والمدلول يمثل طاقة دافعة تصحح مسار الأيديولوجية لدى المتلقي من جهة، وتشد المتلقي بأشواقه ومثله العليا المتمثلة بعلاقته مع الخالق سبحانه وتعالى والذي يعدّه الإمام في أيديولوجيته المصدر الأساس لفكرة الإمامة وقيادة الأمة من ناحية أخرى عن طريق اتباع أوامره التي انبثقت منها تلك الأيديولوجية. ومن هنا كانت العلاقة بين النسقين الأول بوصفه نسقاً أيديولوجياً، والثاني بوصفه نسقاً روحياً، هي علاقة تفاعلية، تبدأ من أساس الفكرة الأيديولوجية التي لا تنفك عن إطارها الروحي المتواجد بغزارة سيميائية علاماتية واسعة في نصوصه الواردة. لقد بنى الإمام السجّاد (عليه السلام) نسقه الروحي من خلال تراكم البنيات المتعددة داخل النصوص، فجعلها تمثل هوية عقائدية خاصة بمنهج آل البيت (عليهم السلام) لتنعكس بصورة مباشرة على المتلقين من انصاره وشيعته، فتجعل منهم يمثلون خطاً عقائدياً مؤمناً بثقافته، واللافت للانتباه أن العملية التفاعلية بين هذين النسقين الأيديولوجي والروحي شكّلت بداية أو نقطة انطلاق لخط تاريخي بدايته تلك الثقافة المتمثلة بفكر الإمام السجّاد وظل امتدادها التاريخي قائماً إلى يومنا هذا، وهو يحمل نفس الشحنة العاطفية، والأيديولوجية المغلفة بالنسق الروحي، وهذا شيء يستحق الدراسة والبحث بمفرده، وذلك بسبب صموده عبر الزمن على الرغم من الظروف الموضوعية غير الطبيعية التي عاشها الإمام بشتى أطوار حياته! لذا يمكننا القول إن الإمام السجاد حفظ لنا تلك الثقافة الخاصة به، والتي وصلتنا برغم المدّة الزمنية الطويلة عن طريق النسق الروحي، الذي من خلاله استطاع إيصال نسقه الأيديولوجي لنا، وهو بهذا شكّل موجاً تاريخاً يؤمن به الكثيرون، إذ استطاع هذا الموج التاريخي أن ينفذ عبر جدار الزمن ويصل إلينا حاملاً كل تلك الرسائل المشفرة التي بثها الإمام (عليه السلام) هنا وهناك في مواضع مختلفة من تراثه العظيم.

وعودة إلى النسق الروحي لابدّ أن نأخذ بعض الأمثلة – وهي كثيرة – الواردة عنه (عليه السلام) والتي نجدها بغزارة في أغلب ادعيته؛ فمثلا نجده يؤكد على عقيدة التوحيد في هذه المناجاة الواردة عنه (**إلهي بدت قدرتك ولم تبد هيئة فجهلوك، (وقدروك بالتقدير على غير ما به أنت)، شبهوك وأنا برئ يا إلهي من الذين بالتشبيه طلبوك، ليس كمثلك شئ إلهي ولم يدركوك ...)**[1] ففي هذه المناجاة تتضح ملامح البنية الثقافية لهذا النسق من خلال اللغة الثقافية لتلك النصوص، ونحن ذكرنا في مقدمة هذا البحث أن السيمياء الثقافية في تحليلها للنصوص التي يراد منها استخراج الثقافة، تعتمد اعتماداً كلياً على استخراج اللغة الثقافية أولا، إذ تقوم تلك اللغة ببناء بنيات متعددة داخل النص، وباجتماعها يتكوّن لنا ذلك النص. وهنا تظهر ملامح إحدى البنيات داخل هذا النسق الروحي والمتمثلة ببنية عقيدة التوحيد عند الإمام السجّاد (عليه السلام) إذ حدد معالمها الأساسية، بعد أن قام بتنقيتها من الشوائب والانحرافات الفكرية التي كانت منتشرة في زمانه من قبل بعض المنحرفين فكرياً، بعد أن كثرت في زمانه العقائد الفاسدة، والأيديولوجيات المنحرفة، ولهذا جعل الأمام من هذه المناجاة ردة فعل واضحة تجاههم. ويمكننا القول إنّ هذا النص يندرج تحت النسق الروحي، بما فيه من تغذية روحية للمتلقين، وكذلك تحديد المسار الذي يجب أن يسيروا عليه في القضايا التي تمس جوهر العقيدة الإسلامية التي ربطها الإمام ربطاً مباشراً مع النسق الأيديولوجي عن طريق النواة الأيديولوجية له، والتي أفضت إلى نوعية تلك الأيديولوجية المتبلورة

[1]– مسند الإمام السجاد أبي محمد علي بن الحسين (عليهما السلام)، جمعه ورتبه عزيز الله العطاري،ج1، ص199.

مجلة محكمة تصدر عن جامعة ساوة الاهلية
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
العدد 4 No 4
تموز 2026 July 2026

لنا على انها أيديولوجية الرفض السجادية. ويعد هذا النص نصاً بالغ الأهمية؛ لما فيه من علامات تبث دلالات ثنائية – دال ومدلول - تقوم بتحديد تجاه المنظومة الفكرية بالتعامل مع هكذا قضايا؛ وذلك لأنّ الإمام السجّاد (عليه السلام) اعتمد اعتمادًا مباشراً على المقارنة الفكرية داخله، مستعيناً بأسلوب التكثيف السيميائي للعلامات، والتي حاول من خلالها اتمام عناصر ثقافته الخاصة والقائمة على أساس التراكمات البنيوية داخل النصوص، وبنائها على شكل هيكل بنيوي تؤطره لغته الثقافية الخاصة به، إذ حدد نوع تلك الثقافة التي نريد دراستها في هذا الموضع. لقد ظهر لنا جلياً في هذا النص النسق الروحي الخاص بالإمام (عليه السلام) والذي قارنه بالأنساق الروحية الأخرى، فكان هذا النص يمثل النسق الروحي المقارن ما بينه وما بين باقي الحركات العقائدية التي تعج بها الساحة الإسلامية. ومن أجل اثبات ما نقوله لابدّ أن نتوكأ على منهج جاك دريدا في التفكيك لبنية النص[1]؛ لأننا قلنا سابقا أن الإمام جعل من لغته الثقافية قائمةً على اساس البنية المتداخلة، والتي جعلت من نصوصه بنيةً هيكلية، والتي باجتماعها اللغوي تشكل نسقاً خاصاً، ومن هنا تكمن عظمة الإمام السجّاد (عليه السلام) الفكرية بوساطة طريقته المثلى لاستغلال العلامات السيميائية بما تحتويه من الدال والمدلول؛ مما أعطاها ديناميكية كبيرة، ومرونة عالية جعلها تخترق جدار الزمن وتصل إلى المتلقين من اتباعه في كل الأزمنة وإلى يومنا هذا. ولهذا يجب تفكيك تلك البنية لغرض الدراسة والبحث، واستخراج مكنون الأفكار المتوارية وراءها. ووفق جاك دريدا فإننا سنحصل على شكل جديد لكنه لا ينفك عن إطاره الأيديولوجي والروحي. وسوف نبدأ من بداية هذا النص الروحي، حيث بدأه الإمام بمقارنة كما هو واضح **(إلهي بدت قدرتك ولم تبد هيئة فجهلوك (وقدروك بالتقدير على غير ما به أنت) شبهوك وأنا برئ يا إلهي من الذين بالتشبيه طلبوك)** فلابدّ من بتفكيك البنيات المتداخلة ونرى المقارنة التي قام بها الإمام إذ يقول: **(بدت قدرتك ولم تبدِ هيئة)** فعن طريق هذا النص يوضح السايكولوجية الروحية للإمام وكيفية إيمانه بها، ومن ثم يضّمن النص بمقارنته بين أفكاره الروحية تجاه الخالق وبين أفكار غيره من خلال لغة الخطاب التي استعملها والمتمثلة بعبارة **(فجهلوك)** فنلمح علامة سيميائية ترجعنا إلى البعد الأيديولوجي؛ إذ جعل الإمام (عليه السلام) فيها رسالة مشفرة مفادها؛ أنه توصل إلى هذا المقام الروحي العالي عن طريق العلم الذي وهبه الله له والذي ذكرناه في مواطن سابقه على أنه ضمن (خزنة علم الله) وهذا العلم مكّنه من معرفة الله حق معرفته، بينما يقابله في الطرف الآخر من جهلوا حقيقة الله؛ لينتقل إلى عبارة أخرى يوضح فيها جهلهم وتخلفهم الفكري حينما قال: **(وقدّروك بالتقدير على غير ما به أنت)** فجهلهم المطبق جعل الرؤية عندهم ضبابية ومعدومة، وهم بهذا أخطأوا كثيراً بحق الله، وما نتج عن هذا الخطأ؛ ترويجهم لأفكارٍ خاطئة ومغلوطة عن الذات المقدسة التي هي أساس النواة الأيديولوجية عند الإمام (عليه السلام) ومن ثم يعلل لنا الإمام السجّاد (عليه السلام) لماذا وقع هؤلاء بتلك الأخطاء الفكرية التي انسحبت على عقائدهم وجعلت منها عقائد منحرفة، وهذا الانحراف يفضي إلى الانحراف الأيديولوجي لهم، وذلك لأنهم بحسب قوله: **(شبهوك وأنا برئ يا إلهي من الذين بالتشبيه طلبوك)** وهذا ما جعل الإمام يعلن البراءة منهم، ويهاجم أفكارهم تقديم إعطاء وجهة نظره الروحية في ذلك كما هو واضح هنا **(ليس كمثلك شيء إلهي ولم يدركوك، وظاهر ما بهم من نعمة دليلهم عليك لو عرفوك)** إذ تميزت هذه البنية النصية بأنها تحتوي على النسق الروحي والنسق الروحي المقارن، الذي بدوره أعادنا إلى النسق الأيديولوجي عن طريق لغة الخطاب التي اعتمدها حيث كانت قائمة على أساس المقارنة وتسليط الضوء على أماكن الخطأ التي وقع بها الطرف الآخر. ويستمر الإمام السجّاد (عليه السلام) بتركيزه على النسق الروحي في أذهان المتلقّين، إذ حدد لهم صفات الإله الذي يجب ان يعبدوه، ويطيعوا أوامره، ولهذا عمد على ترسيخ تلك الفكرة أولاً وهذا ما نجده في كثير من أدعيته، وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد بُعد النسق الروحي الموجود في دعائه في يوم عرفه؛ وهو من الأدعية الطويلة والمملوءة بالعلامات السيميائية الدالة على النسق الروحي، وسوف نورد بعض الأمثلة من هذا الدعاء؛ نظراً لطول حجمه فمثلا نراه (عليه السلام) يقول: **(وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الَّذِي أَنْشَأْتَ الْأَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ سِنْخٍ ، وَ صَوَّرْتَ مَا صَوَّرْتَ مِنْ غَيْرِ مِثَالٍ، وَ ابْتَدَعْتَ الْمُبْتَدَعَاتِ بِلَا**

[1]– ينظر: مدخل إلى التفكيك البلاغة المعاصرة، جاك دريدا و بول دي مان، ت: د. حسام عمانوئيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 2013، ص257.

مجلة محكمة تصدر عن جامعة ساوة الاهلية
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
العدد 4 No 4
تموز 2026 July 2026

احْتِذَاءٍ. أَنْتَ الَّذِي قَدَّرْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَقْدِيراً، وَ يَسَّرْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَيْسِيراً، وَ دَبَّرْتَ مَا دُونَكَ تَدْبِيراً)[1] فلا يغيب على القارئ حجم العلامات السيميائية، والبنية المتراكمة داخل النص من أجل توكيد النسق الروحي في مفردات الثقافة لديه، فلو قمنا بتفكيك البنية التحتية لبعض مفرداته؛ نجده قد اعتمد على إضفاء الطابع الفلسفي على مفردات النص كما سنلاحظه في هذه الجملة **(الَّذِي أَنْشَأْتَ الْأَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ سِنْخٍ)** فالبعد الفلسفي واضح هنا، وقد استعمله من أجل اظهار ملامح النسق الروحي في هذه البنية؛ ذلك النسق الذي أصرّ الإمام على أنه لا ينفك عن اطاره الأيديولوجي، وكما قلنا أنّ هذين النسقين تربطهما علاقة تفاعلية فيما بينهما؛ ليؤثر كل منهما في الآخر. وقد استمر البعد الفلسفي في هذه البنية على هيئة مفردات متقابلة فائدتها اعطاء ديناميكية لأفق السرد من جهة، وتنشيط ذاكرة المتلقي وفق نظرية سيمياء الشخصية لهامون[2] من جهة أخرى، وبهذا يكون السرد قد اصبح مضاءً بالعلامات السيميائية التي تشع فيها ثنائية الدال والمدلول كما هو واضح في بقية البنية اللاحقة له كما هو واضح في النص السابق[3]، وبعد أن أكّد الإمام السجّاد (عليه السلام) هوية النسق الروحي، وربطه بالأيديولوجية الخاصة به، غيّر من تكتيكه اللغوي، فربط المتلقي داخل حيز النسق الروحي إلى أبعاد أخرى، إذ يتخذ الدعاء فيها نحواً آخراً؛ وهو ربط المتلقي بهيبة وقوة الخالق والذي يُعدّ مركزاً لنواةِ النسق الروحي عنده. فلو دققنا النظر عند قنوت الإمام في هذا النص سوف نلاحظ ما قلنا **(اللهم إن جبلة البشرية، وطباع الانسانية، وما جرت عليه تركيبات النفسية وانعقدت به عقود النسية، تعجز عن حمل واردات الأقضية إلا ما وفقت له أهل الاصطفاء، وأعنت عليه ذوي الاجتباء. اللهم وإن القلوب في قبضتك، والمشية لك في ملكتك، وقد تعلم أي رب ما الرغبة إليك في كشفه واقعة لأوقاتها بقدرتك ...)**[4] فليس هنالك من شك للباحث، إذ ما تفحص البنية التي يتكون منها هذا النص، وتفكيكها أن يجد حجم العلامات التي تدل على النسق الروحي به، إذ يعتمد النص على أسلوب حواري سردي منلونج، وهو من نوع المنلوج الداخلي الذي يعتبره علم النقد السردي بأنه من أهم الوسائل التي تحدد وجهة نظر الكاتب في الكتابة. وهذا ما نراه بالفعل، إذ عبّر الإمام من خلاله عن وجهة نظره إزاء الخالق، وهو بطبيعة الحال يبعث رسالة للمتلقين بأنّ يقتفوا أثره بطريقة مخاطبتهم لربهم ومناجاتهم له، ومعرفتهم العقائدية به تماماً وفق المنهج والعقيدة التي يؤمن بها والتي تكلمنا عنها في النص السابق لهذا النص من خلال نسقه الروحي المقارن، والذي قارن به بين إيمانه وعقيدته بالله، وبين المنهج الذي وقع به غيره والذي أدى إلى انحراف عقيدتهم، ومنهجهم الفكري الذي تبرأ منه الإمام (عليه السلام). وهناك نصوص أخرى في مواطن مختلفة حدد بها الإمام (عليه السلام) نسقه الروحي، ونوّع فيها ببنيات مختلفة تتلاءم مع طبيعة هذا النسق، وتساهم بفتح أفقه؛ لإعطائه مرونة أوسع، وديناميكية حركية داخل النص أكبر ومنها دعاؤه (عليه السلام) في جوف الليل كما ورد: **(الهي غارت نجوم سمائك ونامت عيون أنامك وهدأت أصوات عبادك وأنعامك وغلقت الملوك عليها أبوابها وطاف عليها حراسها واحتجبوا عمن يسألهم حاجة أو ينتجع منهم فائدة وأنت إلهي حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم ولا يشغلك شئ عن شئ ...)**[5] وما نلاحظه في هذا النص؛ هو العلاقة الثنائية للبنية داخل هذا النسق الروحي، فاللغة الثقافية للإمام السجّاد (عليه السلام) هنا تقوم بربط المتلقي بخالقه من جهة، وتبين ماهية الخالق من جهة أخرى، وهذا التكنيك الذي استعمله الإمام (عليه السلام) يسمى في علم السيمياء بالعلامة المركبة وهي التي قال عنها ديسوسير **(وهي العلامة التي تشتمل على علامات أخرى)**[6] وهي بطبيعة الحال عكس العلامة البسيطةالتي (لا تحتوي بداخلها على أية علامات أخرى)[7] وهذا

---

[1]– الصحيفة السجادية كاملة رسالة الحقوق، ص187–189.

[2]– ينظر: سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص36– 37.

[3]- ينظر: الصحيفة السجادية: ص187 – 189.

[4]– http://shiaonlinelibrary.com/

[5]– مسند الإمام السجاد أبي محمد علي بن الحسين (عليهما السلام)، ص55.

[6]– معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات، ص35.

[7]– المصدر نفسه، ص202.

يعني أن العلامة المركبة تنشطر فيها الدلالات والمدلولات؛ بسبب تعدد العلامات، وهذا ينعكس على عملية التواصل المنشود داخل النص، والذي يفضي إلى تعدد الرسائل المشفرة المرسلة من قبل المُرسل، وهنا في هذه العملية يستقبل المتلقي رسائلاً عدّة في آنٍ واحد، وهنا تتعدد الأفكار والرؤى وفقاً لذلك؛ بحسب مبدأ الحتمية اللغوية والذي ينص على **(أن تفكيرنا تحدده اللغة بصورة حتمية)**[1] مما يجعل المتلقين يؤمنون بتلك الأفكار الروحية على طول المدى الزمني – ونقصد به منذ زمن كتابة النص وإلى يومنا هذا– وبهذا رأينا كيف كان النسق الروحي يأخذ أشكالاً متعددة بتعدد البنيات المتراكمة بشكلٍ هيكلي داخل النسق. وخلاصة القول وجدنا أن ثقافة الإمام السجّاد (عليه السلام) تكونت من نسقين كان النسق الأول هو النسق الأيديولوجي، والذي انقسهم على عنصرين هما النواة الأيديولوجية، وأيديولوجية الرفض، أما النسق الثاني فهو النسق الروحي، وكانت العلاقة ما بين هذين النسقين هي علاقة تفاعلية، وباجتماع هذين النسقين تشكلت ثقافة الإمام السجّاد (عليه السلام) تلك الثقافة التي نقصد بها نسق أنساق العلامات السيميائية.

نتائج البحث :

بعد دراستنا لتراث الإمام السجّاد (عليه السلام)، وما ورد عنه (عليه السلام) من نصوص معتبرة، حاولنا جاهدين أن نغوص فيما وراء الكلمات، وأن نفك شفرات العلامات السيميائية بدوالها ومدلولاتها، إذ كانت تمثل حجر الزاوية الأساس الذي كوّن البنية النصية لتراثه، ذلك التراث القائم على أساس اللغة. فوجدنا الثقافة السجّادية – ونقصد بها الثقافة من وجهة النظر السيميائية – قد أحاطتها مجموعة من العوامل، والظروف الموضوعية التي أعطتها شكلاً وطابعاً خاصاً، ومن هنا يمكننا القول أن أهمية البحث تكمن بشخصية الإمام (عليه السلام) والظروف الموضوعية التي تعرض لها مما انعكس على ثقافته التي اكتسبت طابع التميز، بسبب تلك الظروف، إذ خلص البحث على أن الإمام السجّاد (عليه السلام) يمثل نقطة انطلاق لمرحلة جديدة في تاريخ الإمامة، والفكر الشيعي؛ وذلك لأسباب عدّة منها : كونه أول الأئمة من أحفاد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهذه الميزة التي امتاز بها انعكست على تراثه الشريف. وكذلك هو الشاهد الوحيد من الأئمة الأطهار (عليهم السلام) على واقعة الطف الأليمة وهذا أعطاه صفة خاصة انفرد بها عن بقية الأئمة الأطهار(عليهم السلام)، وهو الإمام الوحيد من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذي تعرض للأسر والسبي من قبل الحكومة الأموية. وباجتماع هذه العناصر تشكلت لنا لغة ثقافية خاصة، انعكست بطبيعتها على ثقافة الإمام زين العابدين (عليه السلام).

- كانت اللغة الثقافية التي اعتمد عليها الإمام السجّاد (عليه السلام) لا تعتمد على طابع معين من ناحية العلامات السيميائية، إذ تختلف بحسب طبيعة النسق المراد بنائه.
- اعتمد كل نسق على التداخل البنيوي داخل النص، وهذا التداخل كان على هيئة هيكلية.
- تكونت ثقافة الإمام السجّاد (عليه السلام) من نسقين هما النسق الأيديولوجي والذي انقسم على نوعين هما: النواة الأيديولوجية، وأيديولوجية الرفض، والنسق الثاني كان النسق الروحي.
- كانت النواة الأيديولوجية تعتمد على اسلوب التكثيف للعلامات، والذي تميز بالاعتماد على البنية العميقة للنص، وابتعادها عن البنية السطحية للنص.
- اعتمدت أيديولوجية الرفض السجّادية على اسلوب الابتعاد عن البنية العميقة والاقتراب من البنية السطحية للنص، وفيها كانت لغة الخطاب تقترب من الاسلوب المباشر.
- النسق الروحي كان متكوناً من بنية متعددة، محاطة بغلاف أيديولوجي مما جعل طبيعة العلاقة ما بين النسقين الأيديولوجي، والنسق الروحي علاقة تفاعلية.
- امتازت كل بنية داخل النسق الروحي بصفات خاصة بها، فالبنية الأولى اتخذت طابع النسق الروحي المقارن، أما الثانية فكانت تحاول ربط المتلقي بأشواقه العليا ومثله الأعلى.

---

[1]– المصدر نفسه، ص101.

- هنالك بنية داخل النسق الروحي تعتمد على العلامة المركبة، وبها تتعد أنواع العلامات، وهذا ما جعل رسائلها المشفرة متعددة.

المصادر والمراجع

١. دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، د. سمير الخليل، دار الكتب العالمية، لبنان، 2016، ط1.
٢. السيميائيات القاموس المعقلن في نظرية اللغة، أ. ج . كريماس، و ج. كورتيس، ترجمة: رشيد بن مالك، كنوز المعرفة، ط:1، 2020.
٣. السيميائية، الأصول، القواعد، التاريخ، آن إينو، ميشال آريفيه، لوي بانيه، جان كلود كوكي، جان كلود جيرو، جوزيف كورتيس، ترجمة: رشيد بن مالك، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2008.
٤. سيميولوجية الشخصيات الروائية ، فيليب هامون ، ترجمة : سعيد بنكراد ، تقديم : عبد المفتاح كيليوط ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية –سورية ، ط1 ، 2013.
٥. الصحيفة السجادية الكاملة رسالة الحقوق، الإمام زين العابدين، تقديم: سماحة الإمام السيد محمد باقر الصدر، منشورات الرضا، ط1، 2008.
٦. الصحيفة السجّادية، الإمام زين العابدين، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لمجموعة المدرسين بقم، سنة الطبع: 1404- 1363 ش.
٧. العلامة، تحليل المفهوم وتاريخه، أمبرتو إيكو، ترجمة: سعيد بنكراد، مراجعة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2007
٨. اللغة والأسطورة، إرنست كاسيرر، ترجمة: سعيد الغانمي، هيئة أبي ظبي للثقافة والتراث، كلمة، الطبعة الأولى، 2009.
٩. مدخل إلى التفكيك البلاغة المعاصرة، جاك دريدا و بول دي مان، ت: د. حسام عمانوئيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 2013.
١٠. مسند الإمام السجاد أبي محمد علي بن الحسين (عليهما السلام)، جمعه ورتبه عزيز الله العطاري،ج1.
١١. معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا)، دانيال تشاندلر، ت: أ.د. شاكر عبد الحميد، أكاديمية الفنون وحدة الاصدارات، 2002.
١٢. النقد والأيديولوجية، تيري إيجلتون، ترجمة: فخري صالح، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005.
مصادر الأنترنيت
shiaonlinelibrary.com